

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوْلِيكَ الْعُلَمَاءُ حَقًّا

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالآه.
أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ وَرَثُوا
عَنْهُمْ الْعِلْمَ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ
الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ،
فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ» (١).

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٣٦٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٦٨٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (ح ٢٢٣)، وَغَيْرُهُمْ، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ التَّرْغِيبِ"، وَالْأَزْهَرِيُّ فِي
تَحْقِيقِهِ لـ "شَرْحِ السُّنَّةِ" (١/٢٧٦).

وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ لَيُبَيِّنَنَّ دِينَ اللَّهِ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَلَا يَكْتُمُونَهُ، وَهُمْ الَّذِينَ نَطَقُوا بِالْكِتَابِ وَنَطَقَ بِهِمْ، يَنْفُونَ عَنِ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْعَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ (١).



فَالْعُلَمَاءُ هُمْ قَوَامُ الدِّينِ، وَزِينَتُهُ، وَأَائِمَّتُهُ وَقَادَتُهُ، وَأَرْكَانُهُ، وَأَمَنَاءُ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ، الْعَارِفُونَ بِشَرْعِهِ، الْمُتَفَقِّهُونَ فِي دِينِهِ، الْقَائِمُونَ فِي الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا بِمَهَمَّةِ الْبَلَاغِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ.

(١) رَوَى ابْنُ عَبْدِ فِي الْكَامِلِ (١/١٥٢، ١٥٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "سُنَنِهِ الْكُبْرَى" (١٠/٢٠٩)، وَعَبَّرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُحْمَلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْعَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"، وَكُلُّ طُرُقِ الْحَدِيثِ لَا تَخْلُو مِنْ ضَعْفٍ.

وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ؛ فَقَالَ: "هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ"، وَجَزَمَ الْعَلَائِيُّ بِحُسْنِهِ لِعَدْدِ طُرُقِهِ، وَكَذَا قَوَاهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص ١٧٧ - ١٧٩)، وَانظُرْ: "الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهَ" (٢/٥٠)، وَ"شَرَفَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ" (ص ١٢) كِلَاهُمَا لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَ"الرَّوْضِ الْبَاسِمِ فِي الذَّبِّ عَنْ سُنَّةِ أَبِي الْقَاسِمِ" لِمُحَمَّدِ بْنِ الْوَزِيرِ الْبَيْهَقِيِّ.

فَهُمْ قَادَةُ الْأُمَّةِ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ وَالرَّشَادِ، وَهُمْ دُعَاةُ الْحَقِّ، وَهُدَاةُ الْخَلْقِ، وَعِمَادُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَأُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِلَيْهِمْ تَأْرُزُ الْأَفْيِدَةُ، وَتَرْجِعُ الْأُمَّةُ، وَتَفْرَعُ حِينَ يَحْزُبُهَا أَمْرٌ ذُو بَالٍ، وَ«صَلَاحُ الْوُجُودِ بِالْعُلَمَاءِ، وَلَوْلَاهُمْ كَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ، بَلْ أَسْوَأَ حَالًا» (١).

فَهُمْ أَدَاةُ إِصْلَاحِ النَّاسِ كَافَّةً، وَالَّذِينَ يُجِنُّونَ الْأُمَّةَ الرَّدَى، وَيُبْعِدُونَهَا عَن طَرِيقِ الْمَهَالِكِ، فَوُجُودُهُمْ عِصْمَةٌ مِّنَ الْهَلَاكِ، فَقَدْ سُئِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ» (٢).

وَلِذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدِ أَهْوَنُ مِّنْ مَوْتِ عَالِمٍ بَصِيرٍ بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ» (٣).



(١) انظر "مفتاح دار السعادة" لابن القيم (ص ١٣٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٠٦/٨).

(٣) كما في "مفتاح دار السعادة" (ص ٦٦)، و"إعلام الموقعين"

(٢٥٦/٢).

وَالْعُلَمَاءُ هُمْ سَمِعُ الْأُمَّةِ وَبَصَرُهَا... فَهُمُ النُّورُ الَّذِي يَسْرِي فِي
الْعَيْنِ، وَالِدَّمَاءُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْقَلْبِ، فَبِهِمُ اللِّسَانُ يَنْطِقُ، وَالْأُذُنُ
تَسْمَعُ، وَتَدْبُ الْحَيَاةُ فِي الْجَسَدِ.

وَلَقَدْ حَفِظُوا عَلَى الْأُمَّةِ مَعَاقِدَ الدِّينِ وَمَعَاقِلَهُ، وَحَمَوْا مِنْ
التَّغْيِيرِ وَالتَّكْدِيرِ مَوَارِدَهُ وَمَنَاهِلَهُ، وَيَبِيدُهُمْ مَقُودُ أَمَانِ الْأُمَّةِ، وَهُمْ
أَطْوَادُ نَابِتَةِ أَمَامِ الْفِتَنِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالْبِدَعِ وَالْمُفْتَرِيَاتِ، وَإِلَيْهِمْ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ وَقَتَ الْفِتَنِ حِينَ تَشْتَبِهُ الْأُمُورُ، وَيَكْثُرُ الْخَلْطُ، وَتَزِيغُ
الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء/ ٨٣).

فَمَرَدُ الْأَمْرِ وَقَتَ الْفِتَنِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ.



فَالْعُلَمَاءُ هُمْ عَيْظُ الْعَدُوِّ، وَقَوَامُ الْأَمْرِ، وَهُمْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ
كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، وَكَالشَّمْسِ لِلدُّنْيَا، وَكَالْعَافِيَةِ لِلنَّاسِ،
وَلَا يُعْرَفُ كَيْفَ يُعْبَدُ * - كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ - إِلَّا بِهِمْ، وَبِهِمْ
يُرَكَّبِي الْوُجُدَانُ، وَتُصْقَلُ النُّفُوسُ، وَيَجْلُو الْفِكْرُ وَمَا عَلَقَ

بِالنَّفُوسِ مِنْ عَوَالِقِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَيُظَهِّرُ الْحَقَّ أَبْلَحَ.
 فَالْعُلَمَاءُ (فِي الْخَيْرِ قَادَةٌ وَأئِمَّةٌ يُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ
 وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرَعَّبَ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ
 يَسْتَعْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَحِيتَانِ الْبَحْرِ وَهَوَامِهِ وَسِبَاعِ
 الْبَرِّ وَأَنْعَامِهِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمَصَابِيحَ
 الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ، يُبْلَغُ الْعَبْدُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ وَالذَّرَجَاتِ
 الْعُلَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ الصِّيَامَ، وَمُدَارَسَتُهُ
 تَعْدِلُ الْقِيَامَ، بِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ،
 وَهُوَ إِمَامٌ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهِمُهُ السُّعْدَاءُ وَيُحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءُ) (١).



وَلِذَا؛ فَالنَّاسُ أَحْوَجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ؛ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) « النَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْعِلْمِ أَكْثَرَ

(١) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ" (١/٥٤، ٥٥)،
 وَالْخَطِيبُ وَأَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُمْ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، كَمَا فِي "مِفْتَاحِ دَارِ
 السَّعَادَةِ" (١/١٣١).

(٢) كَمَا فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص ٦٦)، وَ"إِغْلَامِ الْمُوقِعِينَ"
 (٢/٢٥٦).

مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، لِأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يُحْتَاجُ
 إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَالْعِلْمُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْأَنْفَاسِ».
 بَلْ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى التَّنَفُّسِ (١)؛ لِأَنَّ
 بِالتَّنَفُّسِ تَحْيَا الْأَبْدَانُ، وَبِهِمْ تَحْيَا الْقُلُوبُ، وَالْعِلْمُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ
 لِلْسَّمَكِ، إِذَا فَقَدَهُ مَاتَ؛ وَقَدْ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: (٢)
 «وَجَدْتُ صَلاَحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ».



وَالْعُلَمَاءُ هُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، فَهَمَّ أَرْفَعَ النَّاسِ
 مَنزِلَةً بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: (٣) «أَرْفَعَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ
 مَنزِلَةً مَنْ كَانَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ وَهُمْ الرُّسُلُ وَالْعُلَمَاءُ».
 وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ: (٤) «مَنْ أَرَادَ النَّظَرَ إِلَيَّ

(١) انظر: "مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص ١٢١).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ" (١/٤٩).

(٣) كما في "مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص ١٢٩، ١٨١).

(٤) "أَدَبُ الْفَتَوَى" لِابْنِ الصَّلَاحِ (ص ٣٣)، و"مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ"

(ص ١٢٩، ١٨١).

مَجَالِسِ

الأنبياء؛ فليُنظَرُ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: (١) «وَهَذَا لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ خُلَفَاءَ الرَّسُولِ فِي أُمَّهِمْ
وَوَارِثُوهُمْ فِي عِلْمِهِمْ؛ فَمَجَالِسُهُمْ مَجَالِسٌ خِلَافَةَ النَّبِيِّ».

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ: (٢) «لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ الْعِلْمِ،
الْمُلُوكُ حُكَّامُ النَّاسِ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامُ عَلَى الْمُلُوكِ».



هُمْ حَفَظَةُ الدِّينِ وَخَزَانَتُهُ، وَأَوْعِيَةُ الْعِلْمِ وَحَمَلَتُهُ، (سَلَكُوا
مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِيْنَ)، الْكِتَابُ
عَدَّتِهِمْ، وَالسُّنَّةُ حُجَّتُهُمْ، (فَعَقُّوهُمْ بِلَذَاذَةِ السُّنَّةِ غَامِرَةً، وَقُلُوبَهُمْ
بِالرِّضَا فِي الْأَحْوَالِ غَامِرَةً، تَعَلَّمُ السُّنَنِ سُرُورُهُمْ، وَمَجَالِسُ
الْعِلْمِ حُبُورُهُمْ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ قَاطِبَةٌ إِخْوَانُهُمْ، وَأَهْلُ الْإِلْحَادِ
وَالْبِدْعِ بِأَسْرِهِا أَعْدَاؤُهُمْ) (٣).

(١) "مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص ١٢٩).

(٢) "تَذَكِيرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ" لِابْنِ جَمَاعَةَ (ص ١٠).

(٣) "مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ" لِلْحَاكِمِ (ص ٢).

وَالْعُلَمَاءُ هُمْ عِصْمَةُ الْأُمَّةِ مِنَ الضَّلَالِ بِتَرْؤُسِ الْجُهَّالِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (١) «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

فَوُجُودُ الْعُلَمَاءِ يَمْنَعُ إِفْتَاءَ الْجُهَّالِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَهُمْ فِي النَّهَائَةِ مَانِعٌ مِنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ.

وَهُمْ (يَنْبِيعُ الْحِكْمَةِ وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ) (٢)، وَكَمَا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: «الْعُلَمَاءُ مَنَارُ الْبِلَادِ، مِنْهُمْ يُقْتَبَسُ النُّورُ الَّذِي يَهْتَدَى بِهِ» (٣).



وَهُمْ رَأْسُ الطَّائِفَةِ الظَّاهِرَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ح (١٠٠، ٧٣٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٤/٢٠٥٨).

(٢) انْظُرْ: "جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ" لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (١/٥٢، ٥٣).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ" (١/٥٠).

صلى الله عليه وسلم: (١) «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ».

قَالَ الْبُخَارِيُّ: «هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ».

وَقَالَ أَحْمَدُ: «إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ».

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: «إِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،

وَمَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ» (٢).



فَالْعُلَمَاءُ هُمْ رَأْسُ الْجَمَاعَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِلُزُومِهَا؛ كَمَا فِي قَوْلِ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم: (١) «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ

الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: الْبُخَارِيُّ (ح ٧٤٥٩، ٧٣١١، ٧٣٤٠، ٣٦٤٠)، وَمُسْلِمٌ (ح

١٩٢٠)

(٢) انْظُرِ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ فِي "شَرْحِ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ" (١٣ / ٦٦ - ٦٧).

قَالَ عَنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رحمته الله: (٢) «الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ
الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَنَارُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ».
وَقَالَ عَلِيُّ رحمته الله لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ: (٣) «أَوْلَيْكَ هُمْ الْأَقْلُونَ عَدَدًا،
الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ حُجَجِهِ حَتَّى يُؤَدُّوَهَا إِلَيَّ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي "سُنَنِهِ" (ح ٢٨٦٣)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.
وَرَأَجَعُ تَمْخِيجُهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (ح ٩٨٣، ٩٨٤) وَ"تَمْخِيجُ السُّنَّةِ"
لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (ح ٩٠، ٩١، ٨٩٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤).
(٢) انْظُرْ: ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ" (١/٥٧)، وَهُوَ
جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ.
(٣) حَدِيثُ عَلِيِّ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ: رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ" (١/٨٠، ٧٩)،
وَالْحَطِيبُ فِي "الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ" (١/٤٩، ٥٠)، وَانْظُرْ: "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ"
(٢/١١٢)، وَ"مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص ١٢٤).

وَوَصَّ كَلَامِ عَلِيٍّ؛ كَمَا فِي الْحِلْيَةِ: عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: "أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَانِ، فَلَمَّا أَصَحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ
قَالَ: "يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ
لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَامِلٌ رِبَائِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَسَّجٌ رِعَاغٌ أَتْبَاعُ
كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى

رُكْنٍ وَثِيقٍ. الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزُكُّو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِضُهُ التَّفَقُّهُ، وَحُبَّةُ الْعَالِمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهَا، الْعِلْمُ يُكْسِبُ الْعَالِمَ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصَنِيْعَةَ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَاتَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مُوجُودَةٌ، هَاهُ إِنَّ هَهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - عِلْمًا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةٌ، بَلَى أَصَبْتُهُ لَقِنَّا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهَرُ بِحُجَجِ اللَّهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَيَبْنِعِمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَوْ مُتَقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ، يَقْتَدِحُ الشُّكَّ فِي قَلْبِهِ، بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شَيْئَةٍ، لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، أَوْ مِنْهُومٌ بِاللَّدَاتِ، سَلِسُ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ، أَوْ مُعْرَى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالِادِّخَارِ، وَلَيْسَا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهَا الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، لَيْتَلَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، أَوْلَيْكَ هُمْ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَن حُجَجِهِ، حَتَّى يُوْدُّوَهَا إِلَى نُظَرَاتِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنْسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَحَهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمُنْظَرِ الْأَعْلَى، أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَدُعَاةُهِ إِلَى دِينِهِ. هَاهُ هَاهُ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكَ، إِذَا شِئْتَ فَعْمٌ "

نُظَرَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ
الْأَمْرِ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتَرْفُونَ، وَأَسْوَأَ مِمَّا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ
الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحَهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى».



وَنَقَّصِدُ بِ(الْعُلَمَاءِ): الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيِّينَ؛ أَهْلُ الْأَثَرِ وَالْفِقْهِ، الَّذِينَ
يَتَمَيَّزُونَ بِالْإِتْقَانِ وَالْفَهْمِ وَالْعَقْلِ وَالرَّزَانَةِ.
وَلَا بُدَّ أَنْ نُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ وَيَبْنِ كُلُّ مَنْ:

• الْقُرَّاءُ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَحْفَظُونَهُ دُونَ فِقْهِهِ وَفَهْمِهِ،
وَدُونَ التَّعَرُّفِ عَلَى مَقَاصِدِهِ، فَحَنُّ فِي زَمَنِ كَثُرَ فِيهِ الْقُرَّاءُ، وَقَلَّ
فِيهِ الْفُقَهَاءُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (١) «سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ
تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَّاءُ وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ».

وَقَدْ لَا يَرُونَ لِحَافِظِ الْقُرْآنِ مِنْهُ نَصِيبٌ إِلَّا مُجَرَّدَ مُرُورِهِ عَلَى لِسَانِهِ
دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى قَلْبِهِ فَيَعْلُقَ بِهِ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (١)

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٤/٤٥٧)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، كَمَا فِي "مَجْمَعِ

الزَّوَائِدِ" (١/١٨٧)، وَأَنْظَرُ: "الْمَجْمَعُ" (١/١٢٧).

الخَوَارِج: (١) «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ».

• الخُطَبَاءُ وَالْوُعَاظُ: بِالرُّغْمِ مِنْ حُسْنِ حَدِيثِهِمْ، وَحَلَاوَةِ مَنْطِقِهِمُ الَّذِي يَسْلُبُونَ بِهِ الْأَلْبَابَ وَالْمَشَاعِرَ، وَقَدْ يَرُونَ مِنْهُمْ عُلَمَاءَ أَفْدَادٍ، وَلَكِنَّهُمْ قَلَّةٌ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَائِهِ، قَلِيلٍ خُطَبَائِهِ، ... وَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانًا كَثِيرًا خُطَبَائِهِ، قَلِيلٌ عُلَمَائِهِ» (٢). فَالْعُلَمَاءُ قَلِيلُونَ، أَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ فَكَثِيرُونَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ رضي الله عنه: (٣) «ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُونَ وَمَا الْمُجْتَهِدُ فِيكُمْ إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».



(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (ح ٣٣٤٤)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٠٦٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ" (ح ٧٨٩)، وَصَحَّحَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي "الْمَجْمَعِ" (١٠/٢٤٩)، وَالْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ" (١٠/٥١٠)، وَالْأَلْبَانِيُّ فِي "تَخْرِيجِ الْعِلْمِ" لِأَبِي حَيْثَمَةَ (ص ١٠٩).

(٣) رَوَاهُ أَبُو حَيْثَمَةَ فِي "الْعِلْمِ" (ص ٦٩).

وَنَحَدَّرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَعْلُقُوا مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا إِلَّا رُسُومًا
وَأَشْكَالًا فِي اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ، وَيَتَقَرَّوْنَ وَيَتَشَدَّقُونَ بِأَسَالِيبِ
الْمَنْطِقِ وَالْكَلامِ، فَعَايَةً مَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ عِبَارَاتٌ وَشَقَاشِقٌ لَا
يَعْبَأُ بِهَا، يُحَرِّفُونَ بِهَا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَهَمُّ مُتَشَدِّقُونَ
مُتَفَيِّهُونَ يُوْهَمُونَ الْأَعْرَارَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءٌ، وَمَا هُمْ بِعُلَمَاءٍ، إِنَّمَا اتَّخَذُوا
الْعِلْمَ مِهْنَةً يَتَعَيِّشُونَ بِهَا وَيَتَأَكَّلُونَ.

إِنَّمَا نُرِيدُ عُلَمَاءَ أَبْرَارًا قُدُورَةً، عِنْدَهُمْ مِنْ سِعَةِ الْعِلْمِ وَصَفَاءِ
النَّفْسِ وَقُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ مَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا بِهِ الْحَيْرَةَ
الْمُدْمِرَةَ عَنْ خَاطِرِ الْعَوَامِ وَالْجُهَّالِ.. عُلَمَاءٌ تَشْرَبُ إِلَيْهِمُ الْأَعْنَاقُ
إِجْلَالًا وَتَقْدِيرًا وَوَلَاءً، لَا تُخْفِيهِمُ الْمِحْنُ، وَلَا تُلْهِيُهُمُ الْفِتْنُ، بَلْ
يَتَحَمَّلُونَ نَارَهَا بِصَبْرٍ وَجَلْدٍ، فَنَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا... لَا يَهَابُونَ
سُلْطَانًا جَائِرًا، وَلَا حَاكِمًا جَبَّارًا، لَا يُدَاهِنُونَ وَلَا يَتَمَلَّقُونَ، وَلَا
يَكْتُمُونَ عِلْمًا، وَلَا يَسْتُمُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يَخْشُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً
لَايِمًا، لَا يُغْرِيبُهُمُ الْمَالُ، وَلَا الْقُرْبُ مِنْ أَصْحَابِ الْجَاهِ وَالنُّفُوزِ، بَلْ
هُمْ فِي حِرْصٍ بِالْبَالِغِ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة/٢٠٧)

يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى دِينِهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُونَ هُمْ لِدُنْيَا النَّاسِ، قَالَ أَحَدُ
 الْوَلَاةِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «اَحْتَجْنَا إِلَى دِينِهِ، وَاسْتَعْنَى عَن
 دُنْيَانَا»، فَمَاذَا يَكُونُ الْحَالُ إِذَا احْتَاجَ الْعُلَمَاءُ إِلَى مَا عِنْدَ الْحَاكِمِ مِنَ
 الدُّنْيَا، وَاسْتَعْنَى الْحُكَّامُ عَمَّا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنْ دِينٍ؟!!



فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ بِحَقِّ، الَّذِينَ جَاءَتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ مُسْتَفِيضَةً فِي فَضْلِهِمْ.

حَشَرْنَا^١ وَإِيَّاهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مَعَ
 سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الدُّعَاةِ الْمُخْلِصِينَ؛ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
 اللَّهِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

